مظاهر الإعجاز في القراءات القرآنية

د. عبدالمحمود يوسف عبدالله (★)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فإن القرآن الكريم هو حبل الله المتين وهو النور المبين والصراط المستقيم، أنزله الله تعالى هداية للموفقّين وحجّة على المعاندين، قال تعال﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإسراء: 9- 10].

ومن حكمة الله تعالى أن أنزل القرآن على سبعة أحرف ؛ ليُقرأ بعدة قراءات تيسيراً على الأمّة، وتكريماً لها، وحفظاً للُّغة العربية، ودلالة على إعجاز القرآن الكريم وأنه كلام الله تعالى، فقد حفظ الله تعالى اللغة كما حفظ القرآن، ولا تناقض بينها مع كثرة وجوه الاختلاف فيها﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82].

وهذا البحث هو محاولة لإلقاء الضوء على هذا الجانب وقد جعلت عنوانه "مظاهر الإعجاز في القراءات القرآنية تنبيهاً، إليه وشحذاً لله مم إلى تدبرّ القرآن ودراسة قراءاته، مع صعوبة

(★) أستاذ علم القراءات بالجامعة والأمين العام لمركز تدّبر وشبكة المعلومات القرآنيّة

الموضوع وندرة الكتابة فيه، لكني أستعين الله تعالى وأتوكّل عليه، وما كان من صواب فمنه سبحانه، وما كان من تقصير فمن نفسي ومن الشّيطان، والله منه براء، وأستغفر الله من كل خطأ أو زلل وصلّى الله وسلم على سيّدنا محمّد.

- **أهمية الموضوع وأسباب اختياره**

تأتي أهمية البحث من أهمية الموضوع الذي يتناوله وهو القراءات القرآنية، وإبراز مظاهر الإعجاز فيها، ودلالة ذلك على عناية الله بهذه القراءات، وحفظه لها من الضّياع، أو التّناقض، مع إبراز ما اشتملت عليه من اختصار وإيجاز، وما تجلّى فيها من مظاهر الإعجاز في المعاني والبيان.

- **أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف منها:

1. التّشُّرف بخدمة القرآن الكريم والقراءات القرآنية.
2. -إبراز إعجاز القراءات القرآنية والدعوة إلى مزيد من التّأمّل فيها.
3. -التّأكيد على أن القرآن من عند الله لا يناقض بعضه بعضاً، مهما تعدّدت الوجوه التي يُقرأ بها
4. -التّرغيب في تدبرُّ القرآن الكريم.

- **منهج البحث**

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التّحليلي، وقد تتبّعت المادّةَ من مصادرها ومراجعها، وعزوت النّقولات إلى أصحابها، وعزوت الآيات إلى سورها، وخرَّجت الأحاديث الواردة في متن البحث، وترجمت للأعلام الذين لهم أقوال.

- **هيكل البحث**

البحث يشتمل على مقدّمة وخمسة مباحث وخاتمة، وبيان ذلك على النّحو التالي:

المقدمة: واشتملت على أهمّية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهج البحث وهيكله

المبحث الأول: تعريفات بالإعجاز والقراءات.

المبحث الثّاني: حفظ القراءات من الضياع أوالتّحريف.

المبحث الثّالث: حفظ القراءات من التّناقض.

المبحث الرّابع: الإيجاز والاختصار في القراءات.

المبحث الخامس: الإعجاز البياني في القراءات القرآنية.

الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات، وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

تعريفات بالإعجاز والقراءات

المطلب الأول تعريف الإعجاز وبيان وأنواعه :

الإعجاز في اللغة إثبات العجز ، ومُعْجِزَةُ النبيِّ صلّى الله عليه وسلم ،ما أعْجَزَ به الخَصْمَ عندَ التَّحَدِّي [1].

والمراد بالإعجاز هنا إظهار صدق النبي -صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة -وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم [2].وإعجاز القرآن الكريم ثابت بالأدلة النقليه وله وجوه، يشير إليها الباحث

ثبوت إعجاز القرآن

القرآن الكريم تحدّى به النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ العرب، وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعِهم في الفصاحة والبلاغة، ومثل هذا لا يكون إلا معجزًا ، قال الحافظ السيوطي [3]"

وَلَا خِلَافَ بَيْنِ الْعُقَلَاءِ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى مُعْجِزٌ لَمْ يَقْدِرْ وَاحِدٌ عَلَى مُعَارَضَتِهِ بَعْدَ تَحَدِّيهِمْ بِذَلِكَ ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : 6] فَلَوْلَا أَنَّ سَمَاعَهُ حُجَّةٌ عَلَيْهِ لَمْ يَقِفْ أَمْرُهُ عَلَى سَمَاعِهِ وَلَا يَكُونُ حُجَّةً إِلَّا وَهُوَ مُعْجِزَةٌ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ

([1]) انظر القاموس المحيط ، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة ، 1426 هـ 2005 م.، ص(516)، ومباحث في علوم القرآن ، لمناع بن خليل القطان ، الناشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الطبعة الثالثة 1421هـ 2000م، ص(265).

([2]) مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان ، ، ص(265).

([3]) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو 600 مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة نشأ في القاهرة يتيما، وكانت وفاته سنة(911 ه)، انظر الأعلام ، للزركلي (3/ 301).

وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ فَأَخْبَرَ أَنَّ الْكِتَابَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ كَافٍ فِي الدَّلَالَةِ قَائِمٌ مَقَامَ مُعْجِزَاتِ غَيْرِهِ وَآيَاتِ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَلَمَّا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ وَكَانُوا أَفْصَحَ الْفُصَحَاءِ ومصا قع الْخُطَبَاءِ وَتَحَدَّاهُمْ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَأَمْهَلَهُمْ طُولَ السِّنِينَ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ بِسُورَةٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ الْآيَةَ ثُمَّ كَرَّرَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾الْآيَةَ فَلَمَّا عَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَتِهِ وَالْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ تشبهه على كثرة الخطباء فيهم وَالْبُلَغَاءِ نَادَى عَلَيْهِمْ بِإِظْهَارِ الْعَجْزِ وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ فَقَالَ : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ هَذَا وَهُمُ الْفُصَحَاءُ اللُّدُّ وَقَدْ كَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى إِطْفَاءِ نُورِهِ وَإِخْفَاءِ أَمْرِهِ فَلَوْ كَانَ فِي مَقْدِرَتِهِمْ مُعَارَضَتُهُ لَعَدَلُوا إِلَيْهَا قَطْعًا لِلْحُجَّةِ وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا رَامَهُ بَلْ عَدَلُوا إِلَى الْعِنَادِ تَارَةً وَإِلَى الِاسْتِهْزَاءِ أُخْرَى فَتَارَةً:قَالُوا "سِحْرٌ" وَتَارَةً قَالُوا "شِعْرٌ" وَتَارَةً:قَالُوا "أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" ؛ كُلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّحَيُّرِ وَالِانْقِطَاعِ ثُمَّ رَضُوا بِتَحْكِيمِ السَّيْفِ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَسَبْيِ ذرا ويهم وَحَرَمِهِمْ وَاسْتِبَاحَةِ أَمْوَالِهِمْ وَقَدْ كَانُوا آنَفَ شَيْءٍ وَأَشَدَّهُ حَمِيَّةً فَلَوْ عَلِمُوا أَنَّ الْإِتْيَانَ بِمِثْلِهِ فِي قُدْرَتِهِمْ لَبَادَرُوا إِلَيْهِ لِأَنَّهُ كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ[1]".

([1]) الإتقان في علوم القرآن، تاليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة 1394هـ ـ 1974 م، (4/4- 5).

والإعجاز لسائر الأمم على مر العصور ظل ولا يزال في موقف التحدي شامخ الأنف، فصار القرآن بهذا مُعجزًا للإنسانية كافة[1].

وجوه إعجاز القرآن

هناك أقوال كثيرة في وجوه إعجاز القرآن الكريم مبسوطة في كتب التفسير وعلوم القرآن والعقيدة ولن نطيل في تفاصيلها إذ ليس هو موضوعنا الأساسي ، ولكن حَسْبَنا أن نُشيَر إلى خلاصة ذلك لنربط بينه وبين موضوع بحثنا ، وأكتفي بما قاله صاحب (مباحث في علوم القرآن) إذ قال"والحقيقة أنَّ القرآن معجز بكل ما يتحمله هذا اللفظ من معنى

فهو مُعْجز في ألفاظه وأسلوبه، والحرف الواحد منه في موضعه من الإعجاز الذي لا يغني عنه غيره في تماسُكِ الكلمة، والكلمة في موضعها من الإعجاز في تماسّكِ الجملة، والجملة في موضعها من الإعجاز في تماسكِ الآية

وهو مُعْجز في بيانه ونظمه، يجد فيه القارئ صورة حيّة للحياة والكون والإنسان

وهو مُعجز في معانيه التي كشفت الستار عن الحقيقة الإنسانية ورسالتها في الوجود

وهو مُعجز بعلومه ومعارفه التي أثبت العلم الحديث كثيرًا من حقائقها المغيبة

وهومُعجزفي تشريعه وصيانته لحقوق الإنسان وتكوين مجتمع مثالي تسعد الدنيا على يديه.

والقرآن -أولًا وآخرًا هو الذي صَيّر العربَ رعاة الشاء والغنم ساسة شعوب وقادة أمم، وهذا وحده إعجاز [2].

المطلب الثاني: تعريف القراءات وبيان صلتها بالإعجاز:

([1]) مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان، ص(267).

([2]) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان ، ص(270).

القراءة في اللّغة: مصدر قرأ، يقال قرأ، يقرأ، قراءةً، وقرآناً، بمعنى تلا، فهو قارئ، والقُراء-بضمّ القاف جمع قارئ من القراءة والقَرَّاءُ-بفتح القاف الحَسَنُ القراءَةِ[1].

وفي الاصطلاح: القراءات هي العلم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزواً لناقله[2].

أو هي علم يعلم منه اتّفاق النّاقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره، من حيث السماع[3].

أما صلة القراءات بالإعجاز فهي نابعة من إعجاز القرآن الكريم، والذي تُمثّل القراءات وجوهاً من وجوه أدائه، وكلّ قراءة منها بمنزلة آية من آياته؛ وإذا كان القرآن هو كلام الله المعجز فالقراءات كذلك، وسنرى وجوهاً من وجوه الإعجاز التّي تتحلّى من خلال التّأمّل في القراءات القرآنية

المبحث الثاني

حفظ القراءات من الضياع أوالتحريف

([1]) القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ص(49)، ومقدمات فى علم القراءات، تأليف الدكتور.محمد أحمد مفلح القضاة والدكتور: أحمد خالد شكرى والدكتور.محمد خالد منصور، ط: دار عمار الأردن، الأولى، 1422هـ- 2001م، ص(47).

([2]) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى 833هـ)، الناشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1420هـ - 1999م، ص(9)، و مقدمات فى علم القرآات، ص(47).

([3]) إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، الناشر دار الكتب العلميّة لبنان – الطبعة الأولى، 1419هـ1998م، تحقيق أنس مهرة، ص(6).

من مظاهر الإعجاز في القراءات حفظ الله لها من الاندثار أو الضياع أو التحريف ؛ بل ظلّت القراءات باقيةً موجودةً تتناقلها الأُمّة جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد بعصر، وهيأ الله لها العلماء الجهابذة [1]، فألفوا فيها المؤلفات ، وضبطوها وبيّنونها، ووضحوها للناس، وميزّوها من غيرها ؛ ممّا لم يصح، ونفوا عنها ما لم يكن منها، وردّوا على كلّ مَنْ حاول أن يطعن فيها أو يثير الشّكوك حولها وقد دوَّن العلماء هذه القراءات –المتواترة– وحفظوا أسانيدها بحيث لا يمكن زيادة شيءٍ على المتواتر أو النّقص منه[2].

وهذا الصنيع ، من حفظ الله لكتابه وهو الذّي تكفّل بذلك ؛ قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: 9] فقد بَيَّنَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، وَأَنَّهُ حَافِظٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُزَادَ فِيهِ أَوْ يُنْقَصَ أَوْ يَتَغَيَّرَ مِنْهُ شَيْءٌ أَوْ يُبَدَّلَ [3].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذِهِ الْأَمْصَارِ عَلَى الِاعْتِمَادِ عَلَى مَا صَحَّ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ فِيمَا رَوَوْهُ وَرَأَوْهُ مِنَ الْقِرَاءَاتِ، وَكَتَبُوا فِي ذَلِكَ مُصَنَّفَاتٍ، وَاسْتَمَرَّ الْإِجْمَاعُ عَلَى الصَّوَابِ وَحَصَلَ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ مِنْ حِفْظِ الكتاب [4].

وَحِفْظُ الله للقرآن دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى، إِذْ لَوْ كَانَ مِنْ قَوْلِ الْبَشَرِ لَتَطَرَّقَ إِلَيْهِ مَا تَطَرَّقَ لِكَلَامِ الْبَشَرِ قَالَ الْحَسَنُ حَفِظَهُ بِإِبْقَاءِ شَرِيعَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ يَحْفَظُهُ فِي

---

(1) ونظير هذا في علم الحديث ما جاء أنه لما قيل لعبد الله بن المبارك هذه الأحاديث الموضوعة قال "تعيش لها الجهابذة" ، وما ذكر أن الرشيد أخذ زنديقا ليقتله فقال أين أنت من ألف حديث وضعتها؟ فقال أين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا؟ انظر الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، لأبي شهبة، ص(359).

(2) فصول في أصول التفسير ، تأليف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ، الناشر دار ابن الجوزي ، الطبعة الثانية، 1423هـ، ص(166).

(3) انظر أضواء البيان، للشنقيطي(255/2).

(4) تفسير القرطبي (1/ 46) .

قُلُوبِ مَنْ أَرَادَ بِهِمْ خَيْرًا حَتَّى لَوْ غَيَّرَ أَحَدٌ نُقْطَةً لَقَالَ لَهُ الصِّبْيَانُ كَذَبْتَ، وَصَوَابُهُ كَذَا، ولم يتفق هذا الشيء مِنَ الْكُتُبِ سِوَاهُ [1].

موقف طريف:

ومن المواقف الطريفة ما أورده القرطبي بإسناده عن يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ قال كَانَ لِلْمَأْمُونِ وَهُوَ أَمِيرٌ إِذْ ذَاكَ مَجْلِسُ نَظَرٍ، فَدَخَلَ فِي جُمْلَةِ النَّاسِ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ حَسَنُ الثَّوْبِ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ، قَالَ فتكلّم فأحسنَ الكلامَ والعبارة، قال فلّما أن تَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ دَعَاهُ الْمَأْمُونُ فَقَالَ:لَهُ إِسْرَائِيلِيٌّ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ:لَهُ أَسْلِمْ حَتَّى أَفْعَلَ بِكَ وَأَصْنَعَ، وَوَعَدَهُ فَقَالَ دِينِي وَدِينُ آبَائِي وَانْصَرَفَ قَالَ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ جَاءَنَا مُسْلِمًا، قَالَ فَتَكَلَّمَ عَلَى الْفِقْهِ فَأَحْسَنَ الْكَلَامَ، فَلَمَّا تَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ دَعَاهُ الْمَأْمُونُ وَقَالَ أَلَسْتَ صَاحِبَنَا بِالْأَمْسِ؟ قَالَ:لَهُ بَلَى قَالَ فَمَا كَانَ سَبَبُ إِسْلَامِكَ؟ قَالَ انْصَرَفْتُ مِنْ حَضْرَتِكَ فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنت (مع ما) تراني حسن الْخَطِّ، فَعَمَدْتُ إِلَى التَّوْرَاةِ فَكَتَبْتُ ثَلَاثَ نُسَخٍ فَزِدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ، وَأَدْخَلْتُهَا الْكَنِيسَةَ فَاشْتُرِيَتْ مِنِّي، وعمدت إلى الإنجيل فكتب ثَلَاثَ نُسَخٍ فَزِدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ، وَأَدْخَلْتُهَا الْبِيعَةَ فَاشْتُرِيَتْ مِنِّي، وَعَمَدْتُ إِلَى الْقُرْآنِ فَعَمِلْتُ ثَلَاثَ نُسَخٍ وَزِدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ، وَأَدْخَلْتُهَا الْوَرَّاقِينَ فَتَصَفَّحُوهَا، فَلَمَّا أَنْ وَجَدُوا فِيهَا الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ رَمَوْا بِهَا فَلَمْ يَشْتَرُوهَا، فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا كِتَابٌ مَحْفُوظٌ، فَكَانَ هَذَا سَبَبُ إِسْلَامِي قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ فَحَجَجْتُ تِلْكَ السَّنَةَ فَلَقِيتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ فَذَكَرْتُ لَهُ الْخَبَرَ فَقَالَ لِي مِصْدَاقُ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ قُلْتُ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ؟ قَالَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾

(1) انظر البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي(6/ 468).

[المائدة: 44]، فَجَعَلَ حِفْظَهُ إِلَيْهِمْ فَضَاعَ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9] فَحَفِظَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا فَلَمْ يَضِعْ[1].

فلله تعالى "تكفل بحفظ سائر الأحرف القرآنية التي أنزلها؛ لأنَّ كلَّ حرفٍ منها بمنزلة الآية فضياع شيء منها واندثاره يعني أن بعضَ أبعاضِ القرآن ضاعت، أو اندثرت وهذا يتنافى مع مقتضى الحفظ الرّبّاني للقرآن"[2].

قال علي النُّوري الصّفاقسيّ[3]: " وهذه الأحرف السبعة داخلة في القراءات العشر التي بلغتنا بالتواتر، وغيرُها مما اندرس وكان متواتراً راجع إليها لأنّ القرآن محفوظ من الضياع ولو تطاولت عليه السنون﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: 9]"[4].

المبحث الثّالث

حفظ القراءات من التّناقض

من مظاهر إعجاز القراءات القرآنية عدم تناقضها، مع اختلافها وتعددها حتى إن بعض الكلمات بلغت خمسة أو ستة أوسبعة أوجه في النطق ولكنها لا تتناقض من حيث

([1]) تفسير القرطبي(10/5- 6)

([2]) مقدمات في علم القراءات، ص(31).

([3]) علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي مقرئ من فقهاء المالكية، من أهل صفاقس، رحل إلى تونس ومنها إلى المشرق، فأخذ عن علماء كثيرين، وعاد إلى صفاقس، فصنف كتبا، منها "غيث النفع في القراءات السبع" توفي سنة (1118هـ) انظر الأعلام، للزركلي(5/ 14).

([4]) غيث النفع في القراءات السبع، لعلي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي، ص(14)

المعنى والحمد لله ؛ ولا توجد هذه الخاصية في غير كلام الله تعالى، وتفصيل هذ المبحث في مطلبين :

المطلب الأول : حفظ القرآن من التناقض :

القرآن كلام الله تعالى {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ }[فصلت : 42]، ولا يمكن أن يناقض بعضه بعضاً ؛ كيف وقد قال تعالى {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ }[هود : 1]، ولو كان فيه شئ يناقض بعضه بعضاً لما سكت عنه مشركوالعرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، ولما وقفوا أمامه عاجزين، لم يجدوا حيلة سوى اللجوء إلى السخرية والاستهزاء – وهي حيلة العاجز ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ [فصلت : 26] حتى وإن بدا في الظاهر اختلاف بين بعض الآيات فإنه عند التَّأمُّل والتَّدبُّر يزول ذلك وينتفي كما قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾[النساء : 82]. أَيْ لَوْ كَانَ مُفْتَعَلًا مُخْتَلَقًا، كَمَا يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُهُ مِنْ جَهَلَةِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ فِي بَوَاطِنِهِمْ {لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا} أَيْ اضْطِرَابًا وَتَضَادًّا كَثِيرًا ، أَيْ وَهَذَا سَالِمٌ مِنَ الِاخْتِلَافِ، فَهُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [1].

ومثل هذا ما أخرجه البخاري عن سعيد بن جبير قال قال رجلٌ لابن عبَّاسٍ إني أجدُ في القرآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ، قال ما هُوَ؟قال: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون 101] ، وقال: ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [الصافات 27] ، وقال

(1) تفسير ابن كثير (2/ 364).

{ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا } [النساء 42] ، وقال: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام 23] ، وقد كتموا في هذه الآية، وفي [النازعات 27] ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا * وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [النازعات 27- 30] فذكر خلقَ السماء قبلَ خلقِ الأرضِ، ثم قال : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ * ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: 9- 11] فذكر في هذه خلْقَ الأرض قبلَ خلقِ السَّماءِ، وقال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب 50] وقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 56] وقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء 58]، فكأنه كان، ثمَّ مضى، قال ابن عباس: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون 101]في النفخة الأولى، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴿ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر: 68] ، فلا أَنسابَ بينهم عند ذلك، ولا يتساءلون، ثم في النَّفخَةِ الآخرةِ: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [الصافات 27]، وأما قوله: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام 23] ، ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء 42] ، فإنَّ الله يغفرُ لأهل الإخلاص ذنوبَهُمْ، فيقولُ المُشْرِكُ تعالَوْا نقولُ ما كُنَّا مُشركين، فيخْتِمُ اللَّهُ على أفواهِهِمْ، فتَنطِقُ جوارِحُهُمْ بأعمالهم، فعند ذلك عُرفَ أنَّ الله لا يُكْتمُ حديثاً، وعندهُ: ﴿ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: 2]، وخلق الأرضَ في يومين، ثُمَّ استوى إلى السماء، فسوَّاهن سبع سمواتٍ في يومين آخرين، ثم دحى الأرض، أي بسَطها، وأخرج منها الماء والمرعى، وخلق

فيها الجبال والأشجارَ، والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[النازعات 30] فخُلِقت الأرضُ وما فيها من شيءٍ في أربعةِ أيامٍ، وخُلِقَتِ السَّمواتُ فِي يومَيْنِ، وقولُه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء 96] سمَّى نفسهُ ذلك، وَذَلِكَ قَوْلُهُ، أي: لم يزلْ، ولا يزالُ كذلكَ، فإن الله لم يُرِدْ شيئاً إلا أصابَ بهِ الذي أرادَ، فلا يختلفْ عليك القرآنُ، فإنَّ كُلاً من عند الله [1].

فهذا جواب سديد -من حبر الأمة وترجمان القرآن في مثل هذه الآيات، وحتى إن وُجد شئ من ذلك خفي علينا معناه، فإن سبيل الراسخين في العلم هو أن نقول{آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}[آل عمران: 7]، أَيْ الْجَمِيعُ مِنَ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُصَدِّقُ الْآخَرَ وَيَشْهَدُ لَهُ؛ لِأَنَّ الْجَمِيعَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِمُخْتَلِفٍ وَلَا مُتَضَادٍّ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أَيْ إِنَّمَا يَفْهَمُ وَيَعْقِلُ وَيَتَدَبَّرُ الْمَعَانِيَ عَلَى وَجْهِهَا أُولُو الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ وَالْفُهُومِ الْمُسْتَقِيمَةِ [2].

المطلب الثاني: حفظ القراءات من التّعارض:

إذا كان القرآن لا تعارض بين آياته ولا تناقض فالقراءات كذلك؛ لأن اختلاف القراءات إنما هو بمثابة تعدد الآيات، والاختلاف بينها إنما هو اختلاف تنّوع لا اختلاف تضادّ؛ فمع كثرة وجوه الاختلاف بين القراءات القرآنية وتنوُّعها إلى خلاف في اللّفظ أو في المعنى لكنك لن تجد بينها اختلاف تناقض أوتضاد والحمد لله وهذا يعد "برهانا واضحا ودلالة قاطعة على صدق

([1]) أخرجه البخاري، في تفسير سورة حم السجدة (6/ 128). ومن الكتب المهمة في هذا الباب كتاب" دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" للعلامة: محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله.

([2]) تفسير ابن كثير(2/ 12).

القرآن فمع كثرة وجوه الاختلاف والتّنُّوع لم يتطرق إليه تضاد، ولا تناقض، ولا تخالف، بل كلّه يصدق بعضه بعضاً، ويبّين بعضه بعضاً، وبعضه يشهد لبعض على نمط واحد، وأسلوب واحد، وهذا دليل قاطع على أنه من عند الله عزّ وجل نزل على قلب النبّي صلّى الله عليه وسلم"[1].

قال القرطبي [2]: في قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82]، "وَلَا يَدْخُلُ فِي هَذَا اخْتِلَافُ أَلْفَاظِ الْقِرَاءَاتِ وَأَلْفَاظِ الْأَمْثَالِ وَالدَّلَالَاتِ وَمَقَادِيرِ السُّوَرِ وَالْآيَاتِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ اخْتِلَافَ التَّنَاقُضِ وَالتَّفَاوُتِ" [3].

قال ابن قتيبة [4] عن القراءات: وكل هذه الحروف كلام الله تعالى نزل به الرُّوح الأمين على رسوله عليه السلام، وذلك أنّه كان يعارضه في كلّ شهرٍ من شهور رمضان بما اجتمع عنده من القرآن فيحدث الله إليه من ذلك ما يشاء، وينسخ ما يشاء، وييسّر على عباده ما يشاء ، فكان من تيسيره: أنْ أمره بأن يقرىء كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم ... فإن قال قائل هذا جائز في الألفاظ المختلفة إذا كان المعنى واحداً، فهل يجوز أيضا إذا اختلفت المعاني؟. قيل:له الاختلاف نوعان اختلاف تغاير، واختلاف تضادّ ، فاختلاف التّضاد لا يجوز، ولست

([1]) مقدمات في علم القراءات، ص(31).

([2])أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، القرطبي، من كبار المفسرين، وكان ورعا متعبدا، طارحا للتكلف، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق، وتوفي بمصر سنة(671 ه). الأعلام، للزركلي(5/ 322).

([3]) تفسير القرطبي(5/ 290).

([4]) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَريّ، أبو محمد: من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد وسكن الكوفة ، ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها وتوفي ببغداد سنة(276 هـ)، من كتبّه تأويل مختلف الحديّث "و أدب الكاتب " وغيرها الأعلام، للزركلي(4/ 137).

واجده بحمد الله في شيء من القرآن إلاَّ في الأمر والنّهي من الناسخ والمنسوخ ، واختلاف التغاير جائز..."[1].

ومن أمثلة ذلك:

أولا : قوله تعالى﴿ **فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا** ﴾[سبأ: 19] فقد قرأ يَعْقُوب {رَبُّنَا} بِالرَّفْع على الابتداء، و{بَاعَدَ} بِالْألف وَفتح الْعين وَالدَّال، فعل ماضٍ، والجملة خبر ، وقرأ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو وَهِشَام {رَبَّنَا} بِالنّصب على النداء و{بَعِّد} بتَشْديد الْعين وَإِسْكَان الدَّال من غير ألف، فعل طلب، وَالْبَاقُونَ كَذَلِك وبالألف مَعَ التَّخْفِيف {بَاعِد}[2].

ولا تناقض بين القراءتين ،فقراءة النّصب {ربَّنا} دلّتْ على أنهم طلبوا ذلك اجتراء منهم وبطراً، والقراءة الثّانية دّلت على تحقّق ذلك، وأنهم أخبروا بصنع الله تعالى فيهم

قال شريح[3] في حديثه عن قراءة يعقوب بالرفع "وليس هذه القراءة بمضادة لقراءة من قرأ (ربَّنا) بالنصب على النداء و(باعِدْ) أو (بعِّدْ) بإسكان الدال على الدعاء ؛ لأن القراءات يقع فيها التغاير ولا يقع فيها التضاد ، فإنما وجه هذه القراءة غير وجه هذه ، وذلك أنهم سألوا ذلك ، كما صحّ في قراءة الجماعة ، فلما جُعلوا أحاديث ومُزقوا كلّ ممزق أخبروا بصنع الله تعالى بهم كما صحّ في قراءة يعقوب فجاء القرآن بالمعنيين جميعاً في عرضتين ،مرة

([1]) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ص(32- 33).

([2]) انظر تحبير التيسير، لابن الجزري، ص(516)، والمهذب، لمحمد محمد سالم محيسن(260/2).

([3]) شريح بن محمّد بن شريح بن أحمد بن شريح الرعيني المقرئ من أهل إشبيلية وخطيبها، يكنى : أبا الحسن ، وكان من جلة المقرئين، معدودا في الأدباء والمحدثين، خطيبا بليغا، حافظا محسنا فاضلا توفي ببلده بإشبيلية سنة تسعٍ وثلاثين وخمسمائة انظر الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (المتوفى 578 هـ) ، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، الناشر مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، 1374 هـ 1955 م ص(230).

بدعائهم، ومرة بإخبارهم عن فعل الله بهم حين باعد بين أسفارهم[1].

ثانياً: قوله تعالى﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء 102] فقد قُرئت{ عَلِمْتَ} بضَم التَّاء وفتحها[2].

ولا تعارض فقد قال موسى عليه السلام قال مزّة لقد علمتُ -أنا- ما هي سحر ولكنها بصائر؛ وذلك لإظهار يقينه ونفي التّهمة عنه حين اتّهمه فرعون بالجنون، و قال إن آياتك التي أتيت بها سحر، وقال مرّة لفرعون عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ لِشِدَّةِ مُعَانَدَتِهِ لِلْحَقِّ بَعْدَ عِلْمِهِ لقد علمتَ أنت أيضاً ما هي سحر، وما هي إلاّ بصائر كما قال تعالى﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[النمل: 14] فأنزل الله المعنيين جميعا[3].

وهكذا يقال في باقي القراءات، قال ابن قتيبة" وكل ما في القرآن من تقديم أو تأخير، أو زيادة أو نقصان فعلى مثل هذه السّبيل "[4].

وأختم بهذا الكلام المتين للإمام ابن الجزري[5] حيث قال " وَأَمَّا حَقِيقَةُ اخْتِلَافِ هَذِهِ السَّبْعَةِ الْأَحْرُفِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّ الِاخْتِلَافَ

([1]) الجمع والتوجيه لما انفرد بقراءته يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري، تأليف أبي الحسن شريح بن محمد الرّعيني الإشبيلي الأندلسي، تحقيق الدكتور غانم قدوري الحَمَد، ط دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1420هـ- 2000م، ص (69)، وانظر أيضا تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ص(33).

([2]) قرأ الْكسَائي {لقد علمتُ} بضَم التَّاء وَقرأ الْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا.انظر تحبير التيسير، لابن الجزري، ص(440).

([3]) انظر تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ص(33)، والنشر في القراءات العشر، لابن الجرزي(1/ 51)، و حجة القراءات، لأبي زرعة، ص(411).

([4]) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ص(33).

([5]) شمس الدين أبوالخير محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف الجزرى، إمام هذا الفن - فن القرآت - الإمام الحجة الثبت المحقق المدقق ،شيخ الإسلام وسند مقرئى الأنام، ولد بدمشق سنة(751هـ)وتوفى سنة(833هـ).انظر ترجمته فى كتابه غاية النهاية(2/247- 251)، ومقدمة النشر للشيخ على محمد الضباع(1/4- 7).

الْمُشَارَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافُ تَنَوُّعٍ وَتَغَايُرٍ لَا اخْتِلَافَ تَضَادٍّ وَتَنَاقُضٍ، فَإِنَّ هَذَا مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ تَعَالَى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء: 82]، وَقَدْ تَدَبَّرْنَا اخْتِلَافَ الْقِرَاءَاتِ كُلِّهَا فَوَجَدْنَاهَا لَا تَخْلُو مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ (أَحَدُهَا) اخْتِلَافُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، (الثَّانِي) اخْتِلَافُهُمَا جَمِيعًا مَعَ جَوَازِ اجْتِمَاعِهِمَا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، (الثَّالِثُ) اخْتِلَافُهُمَا جَمِيعًا مَعَ امْتِنَاعِ جَوَازِ اجْتِمَاعِهِمَا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، بَلْ يَتَّفِقَانِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ لَا يَقْتَضِي التَّضَادَّ

فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَكَالِاخْتِلَافِ فِي {الصِّرَاطَ وَعَلَيْهِمْ وَيُؤَدِّهِ وَالْقُدُسِ وَيَحْسَبُ } وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لُغَاتٌ فَقَطْ

وَأَمَّا الثَّانِي فَنَحْوُ {مَالِكِ، وَمَلِكِ} فِي الْفَاتِحَةِ[4] ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ؛ لِأَنَّهُ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ وَمَلِكُهُ وَكَذَا (يُكَذِّبُونَ، وَيَكْذِبُونَ) [البقرة: 10] ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِمَا هُمُ الْمُنَافِقُونَ لِأَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَكْذِبُونَ فِي أَخْبَارِهِمْ وَكَذَا ﴿ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة: 259] بِالرَّاءِ وَالزَّايِ ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِمَا هِيَ الْعِظَامُ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَنْشَرَهَا أَيْ أَحْيَاهَا، وَأَنْشَزَهَا أَيْ رَفَعَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى الْتَأَمَتْ فَضمنَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَعْنَيَيْنِ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ

وَأَمَّا الثَّالِثُ فَنَحْوَ ﴿ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ ﴾ [يوسف: 110] بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ، فَالْمَعْنَى وَتَيَقَّنَ الرُّسُلُ أَنَّ قَوْمَهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُمْ، وَوَجْهُ التَّخْفِيفِ وَتَوَهَّمَ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِمْ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ كَذَبُوهُمْ فِيمَا أَخْبَرُوهُمْ بِهِ، فَالظَّنُّ فِي الْأُولَى يَقِينٌ، وَالضَّمَائِرُ الثَّلَاثَةُ

لِلرُّسُلِ، وَالظَّنُّ فِي الْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ شَكٌّ، وَالضَّمَائِرُ الثَّلَاثَةُ لِلْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ. ... فَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقِرَاءَاتِ تَنَافٍ وَلَا تَضَادٌّ وَلَا تَنَاقُضٌ [1].

وجوب قبول القراءات وإن خفي المعنى:

ما من قراءة من القراءات المتواترة وإلا قام العلماء بتوجيهها، وبيان معناها، وألفت المؤلفات النافعة في توجيه القراءات.

ومع ذلك فإن خفي على المرء شئ من معاني القراءات فليس من الصواب أن يقوم بردها أو الطعن فيها بل السبيل القويم هو قبولها والتصديق بها وأن نقول ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7]، ، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، والمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ -ثَلَاثًا-مَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ"[2].

قال ابن الجزري " وَكُلُّ مَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ قَبُولُهُ، وَلَمْ يَسَعْ أَحَدًا مِنَ الْأُمَّةِ رَدُّهُ وَلَزِمَ الْإِيمَانُ بِهِ، وَإِنَّ كُلَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، إِذْ كُلُّ قِرَاءَةٍ مِنْهَا مَعَ الْأُخْرَى بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ مَعَ الْآيَةِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا كُلِّهَا وَاتِّبَاعُ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْمَعْنَى عِلْمًا وَعَمَلًا، وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ مُوجِبِ إِحْدَاهُمَا لِأَجْلِ الْأُخْرَى ظَنًّا أَنَّ ذَلِكَ تَعَارُضٌ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ" لَا تَخْتَلِفُوا فِي الْقُرْآنِ وَلَا تَتَنَازَعُوا فِيهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَتَسَاقَطُ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ فِيهِ وَاحِدَةٌ، حُدُودُهَا

([1]) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري(1/49- 51)

([2]) الحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم (6016)، وابن حبان في صحيحه الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (1/ 275)"، ورواه أحمد في المسند (13/ 369)، وغيرهم وهو حديث صحيح، قال الهيثمي في مجمع الزوائد(7/ 151) رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادَيْنِ، وَرِجَالُ أَحَدِهِمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَرَوَاهُ الْبَزَّارُ بِنَحْوِهِ وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة(4/ 27) : "سنده صحيح على شرط"الشيخين

وَقِرَاءَتُهَا وَأَمْرُ اللَّهِ فِيهَا وَاحِدٌ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الْحَرْفَيْنِ حَرْفٌ يَأْمُرُ بِشَيْءٍ يَنْهَى عَنْهُ الْآخَرُ كَانَ ذَلِكَ الِاخْتِلَافَ، وَلَكِنَّهُ جَامِعٌ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَمَنْ قَرَأَ عَلَى قِرَاءَةٍ فَلَا يَدَعْهَا رَغْبَةً عَنْهَا، فَإِنَّهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ كَفَرَ بِهِ كُلَّهُ " قال (قُلْتُ) وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ لِأَحَدِ الْمُخْتَلِفِينَ أَحْسَنْتَ"، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ أَصَبْتَ "، وَفِي الْآخَرِ "هَكَذَا أُنْزِلَتْ فَصَوَّبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِرَاءَةَ كُلٍّ مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ، وَقَطَعَ بِأَنَّهَا كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَبِهَذَا افْتَرَقَ اخْتِلَافُ الْقُرَّاءِ مِنَ اخْتِلَافِ الْفُقَهَاءِ، فَإِنَّ اخْتِلَافَ الْقُرَّاءِ كُلٌّ حَقٌّ وَصَوَابٌ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ كَلَامُهُ لَا شَكَّ فِيهِ وَاخْتِلَافُ الْفُقَهَاءِ اخْتِلَافٌ اجْتِهَادِيٌّ وَالْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فِيهِ وَاحِدٌ، فَكُلُّ مَذْهَبٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخَرِ صَوَابٌ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ، وَكُلُّ قِرَاءَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأُخْرَى حَقٌّ وَصَوَابٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ نَقْطَعُ بِذَلِكَ وَنُؤْمِنُ بِهِ، وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مَعْنَى إِضَافَةِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ الِاخْتِلَافِ إِلَى مَنْ أُضِيفَ إِلَيْهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ أَضْبَطَ لَهُ وَأَكْثَرَ قِرَاءَةً وَإِقْرَاءً بِهِ، وَمُلَازَمَةً لَهُ، وَمَيْلًا إِلَيْهِ، لَا غَيْرَ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ إِضَافَةُ الْحُرُوفِ وَالْقِرَاءَاتِ إِلَى أَئِمَّةِ الْقِرَاءَةِ وَرُوَاتِهِمُ الْمُرَادُ بِهَا أَنَّ ذَلِكَ الْقَارِئَ وَذَلِكَ الْإِمَامَ اخْتَارَ الْقِرَاءَةَ بِذَلِكَ الْوَجْهِ مِنَ اللُّغَةِ حَسْبَمَا قَرَأَ بِهِ، فَآثَرَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَدَاوَمَ عَلَيْهِ وَلَزِمَهُ حَتَّى اشْتَهَرَ وَعُرِفَ بِهِ، وَقُصِدَ فِيهِ، وَأُخِذَ عَنْهُ فَلِذَلِكَ أُضِيفَ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهَذِهِ الْإِضَافَةُ إِضَافَةُ اخْتِيَارٍ وَدَوَامٍ وَلُزُومٍ لَا إِضَافَةَ اخْتِرَاعٍ وَرَأْيٍ وَاجْتِهَادٍ"[1].

المبحث الرابع

الإيجاز والاختصار في القراءات

(1) أنظر النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (1/51- 52).

إن في اختلاف القراءات نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز؛ إذ كل قراءة بمنزلة الآية؛ إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل[1].

ومعلوم أنَّ من خصائص القرآن ودلائل إعجازه ما تميز صياغة من الإيجاز و الاختصار وهو من جوامع الكلم الذي أوتيه رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

قال ابن قتيبة " وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه، وذلك معنى قول رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلّم «أوتيت جوامع الكلم»[2]، فإن شئت أن تعرف ذلك فتدبّر قوله سبحانه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[الأعراف 199] كيف جمع له بهذا الكلام كل خلق عظيم، لأن في (أخذ العفو) صلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين. وفي (الأمر بالعرف) تقوى الله وصلة الأرحام، وصون اللّسان عن الكذب، وغضّ الطّرف عن الحرمات؛ وإنما سمّي هذا وما أشبهه (عرفا) و (معروفا)، لأن كل نفس تعرفه، وكل قلب يطمئنّ إليه . وفي (الإعراض عن الجاهلين) الصبر، والحلم، وتنزيه النفس عن مماراة السّفيه، ومنازعة اللّجوج. **وقوله تعالى** إذ ذكر الأرض فقال: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾ [النازعات 31] كيف دلّ بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام، من العشب والشجر، والحبّ والثمر والحطب، والعصف واللّباس، والنّار والملح، لأن النار من العيدان، والملح من الماء ، وينبئك أنه أراد ذلك قوله: ﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [النازعات 33]... **وتبيّن قوله** في وصف خمر أهل الجنة: ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [الواقعة: 19] كيف نفى عنها بهذين اللفظين جميع

([1]) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (1/51- 52).

(2) أخرجه مسلم رقم (523) في المساجد في فاتحته، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه

عيوب الخمر، وجمع بقوله (ولا ينزفون) عدم العقل، وذهاب المال، ونفاد الشراب... وهذا في القرآن أكثر من أن نستقصيه [1].

ومن لطيف ما جاء في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: 1] ما أورده القرطبي في تفسيره أنه: حَكَى النَّقَّاشُ أَنَّ أَصْحَابَ الْكِنْدِيِّ -الفيلسوف- قَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الْحَكِيمُ اعْمَلْ لَنَا مِثْلَ هَذَا الْقُرْآنِ فَقَالَ: نَعَمْ أَعْمَلُ مِثْلَ بَعْضِهِ، فَاحْتَجَبَ أَيَّامًا كَثِيرَةً ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَقْدِرُ وَلَا يُطِيقُ هَذَا أَحَدٌ، إِنِّي فَتَحْتُ الْمُصْحَفَ فَخَرَجَتْ سُورَةُ الْمَائِدَةِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ قَدْ نَطَقَ بِالْوَفَاءِ وَنَهْيٌ عَنِ النَّكْثِ، وَحَلَّلَ تَحْلِيلًا عَامًّا، ثُمَّ اسْتَثْنَى اسْتِثْنَاءً بَعْدَ اسْتِثْنَاءٍ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي سَطْرَيْنِ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِهَذَا إِلَّا فِي أَجْلَادٍ -أي مجلدات- [2].

ومن ذلك ما أورده القرطبي أيضا حين قال: حُكِي أن الْأَصْمَعِيَّ سَمِع جَارِيَةً أَعْرَابِيَّةً تُنْشِدُ أبياتاً فقال لها قَاتَلَكِ اللَّهُ مَا أفصحك فقالت أويعد هَذَا فَصَاحَةً مَعَ قَولِهِ تَعَالَى { وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }[القصص: 7]، فَجَمَعَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ وَخَبَرَيْنِ وَبِشَارَتَيْنِ [3].

المبحث الخامس

([1]) تأويل مشكل القرآن، لابن قتبة، ص(14).

([2]) انظر تفسير القرطبي(6/ 31- 32)، وصفوة التفاسير، تأليف محمد علي الصابوني، الناشر دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1997 م (1/ 304).

([3]) تفسير القرطبي(13/ 252).

الإعجاز البياني في القراءات القرآنية

القرآن هو كلام الله المعجز، الذي بلغ الذروة في الفصاحة والبلاغة، والبيان حتى إنه ليأسر الألباب ، ويحيّر العقول، مما جعل بعض زعماء قريش يتسللون بالّليل خِفيةً من أجل سماعه من رسول الله صلّى الله عليه وسلم حين يرتله في بيته، مع أنهم بالنهار يحذرون أتباعهم من سماعه، بل جاء في صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ (1)"، فقد أخذ القرآن بألبابهم وبهرهم فسجدوا جميعاً حتى من كان على الكفر! ، وقد تميّز القرآن بكثير من أنواع البيان، وقد أُلفّت في الإعجاز البياني مؤلّفات، وهو مبسوط في كتب علوم القرآن وقصدنا فقط الإشارة إلى شئ من البيان في القراءات القرآنية

وإذا كان القرآن، كما أشرنا، فللقراءات القرآنية من ذلك ؛ فأي قراءة منها بمنزلة الآية ، والمتأمّل فيها يرى وجوهاً من البيان، ويرى التّآلف والتّآخي بين الكلمات، فلا تكون واحدة نابية عن أختها ، ولأي قراءة معنى من المعاني لا يحلّ محلّها أي تعبير آخر.

ومن صور الإعجاز البياني في القرا ءات: الإيجاز والاختصار ؛ إذ كل قراءة بمنزلة الآية ؛ ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما يكون في ذلك من التطويل(2).

ومن صور ذلك عدم تناقضها مع تعدد وجوهها ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82] (3).

ومن صور ذلك إعجاز القرآن في معانيه وأحكامه ؛ فتقلّب الصُّور اللّفظية في بعض

(1) صحيح البخاري، في سجود القرآن، باب سجود المسلمين مع المشركين، (2/ 41) ، حديث رقم (1071).
(2) انظر ما تقدم في ص(16).
(3) انظر تفصيل ذلك في ص(9).

الأحرف والكلمات فيه زيادة في المعنى، ويتهيأ معه استنباط الأحكام التي تجعل القرآن ملائمًا لكل عصر، ولهذا احتج الفقهاء في الاستنباط والاجتهاد بقراءات الأحرف السبعة[1].

وإذا تأملنا في القراءات فإننا نجد في بعضها إضافة معنى وحكم جديد غير الذي دلت عليه القراءة الأخرى، ومن أمثلة ذلك:

1- **قوله تعالى:** ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ** ﴾[البقرة: 222].فقد قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر «يطّهّرن»، بفتح الطّاء والهاءمع التّشديد فيهما، بِمَعْنَى يَغْتَسِلْنَ، وهو مضارع "تطهَّر"، وصيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وقرأ الباقون "يَطْهُرْنَ"، بسكون الطاء، وضم الهاء مخففة، مضارع «طهُر»، يقال طهرت المرأة إذا انقطع عنها الحيض، فالجمع بين القراءتين يعني أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع دم حيضها، وتطّهّر بالاغتسال ، ويؤكد ذلك بقية الآية {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ}[2].

فقراءة التّشديد إضافة معنى جديداً وحكماًشرعياً،وهوأنّ الحائض لايجوز لزوجها جِماعها بعد انقطاع الحيض حتّى تغتسل، وهذا ما يرجّح مذهب الجمهور ومنهم الأئمة الثلاثة-مالك والشّافعي وأحمد أَنَّ الْحَائِضَ لَا يَحِلُّ وَطْؤُهَا لِزَوْجِهَا حَتَّى تَتَطَهَّرَ بِالْمَاءِ كَطُهْرِ الْجُنُبِ، وَلَا يُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ تَيَمُّمٌ وَلَا غَيْرُهُ، خلافاً لمن أجاز ذلك[3].

([1]) انظر مقدمات في علم القراءات، ص(30)، ومباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان، ص(170).

([2]) انظر النشر في القراءات العشر، لابن الجزري(1/ 29، 2/ 227)، ومقدمات في علم القراءات، ص(30)، وتفسير الطبري(4/ 384)، و تحبير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري، ص(304).

([3]) انظر تفسير القرطبي(3/ 88)، وفتح القدير، للشوكاني(1/ 259).

قال الشوكاني " وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّ الْقِرَاءَتَيْنِ بِمَنْزِلَةِ الْآيَتَيْنِ، فَكَمَا أَنَّهُ يَجِبُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ الْمُشْتَمِلَةِ إِحْدَاهُمَا عَلَى زِيَادَةٍ بِالْعَمَلِ بِتِلْكَ الزِّيَادَةِ، كَذَلِكَ يَجِبُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ "[1].

2- **قوله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ﴾ [المائدة 6]، فقد قُرئت كلمة {وَأَرْجُلَكُمْ} بِالْخَفْضِ وَالنَّصْبِ [2]، فَالْخَفْض يَقْتَضِي فَرْضَ الْمَسْحِ عطفاً لها على الرأس، وَالنَّصْب يَقْتَضِي فَرْضَ الْغَسْلِ عطفاً لها على اليدين، فَبَيَّنَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ الْمَسْحَ لِلَابِسِ الْخُفِّ وَالْغَسْلَ لِغَيْرِهِ [3].

فإن قراءة الخفض إفادت مشروعية المسح على الخّفين، وقراءة الفتح دلّتْ على فرض الغسل للأرجل في الوضوء كالوجه واليدين. أو أن يكون المراد بقراءة الخفض وجوب الْمَسْح مَعَ الْغَسْلِ، يَعْنِي الدَّلْكَ بِالْيَدِ أَوْ غَيْرِهَا ؛ وحِكْمَةَ هَذَا فِي الرِّجْلَيْنِ دُونَ غَيْرِهِمَا ؛ أَنَّ الرِّجْلَيْنِ هُمَا أَقْرَبُ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ إِلَى مُلَابَسَةِ الْأَقْذَارِ لِمُبَاشَرَتِهِمَا الْأَرْضَ فَنَاسَبَ ذَلِكَ أَنْ يُجْمَعَ لَهُمَا بَيْنَ الْغَسْلِ بِالْمَاءِ وَالْمَسْحِ أَيِ الدَّلْكِ بِالْيَدِ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغُ فِي التَّنْظِيفِ[4].

وفي الآية أقوال أخرى اكتفينا منها بما يناسب البحث، ولا حجّة في قراءة الخفض لم ن ذهب إلى جواز المسح على الرجلين، ولو من غير خفّين ،لكالشيعة فهذا قول مردود، تردّه السنة الفعلية والقولية إذ لم يثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على رجليه من غير خفين وهو الذي أُنزل عليه القرآن وأمر ببيانه بل جاءت الأحاديث الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ فِي

([1]) فتح القدير، للشوكاني(1/ 259).

([2]) قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب «وَأَرْجُلَكُمْ بنصب اللام، وقرأ الباقون «وأرجلِكم بخفض اللام انظر النشر في القراءات العشر، لابن الجزري(2/ 254).

([3]) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري(1/ 29).

([4])انظر تفسير الطبري(1-/ 61- 63)،أضواء البيان، للشنقيطي(1/ 335- 336)

وُجُوبِ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ فِي الْوُضُوءِ وَالتَّوَعُّدِ بِالنَّارِ لِمَنْ تَرَكَ ذَلِكَ، كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلاَةُ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا»[1].

3- **قوله تعالى ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾** [يوسف: 23] فقد قُرِئَت هذه الكلمة {هَيْتَ لَكَ} بعدة قراءات متواترة فقُرِئَت بِفَتْحِ الْهَاءِ، وَإِسْكَانِ الْيَاءِ، وَفَتْحِ التَّاءِ {هَيْتَ لَكَ}، ومَعْنَاهُ أَنَّهَا تَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِهَا وتَقُولُ هَلُمَّ وَأَقْبِلْ وَتَعَالَ، و قُرِئَت {هِئتُ لَكَ} بِكَسْرِ الْهَاءِ، بعْدها هَمْزَة، وَضَمِّ التَّاءِ، بِمَعْنَى تَهَيَّأْتُ لَكَ، و قُرِئَت بغير ذلك[2].

والقراءتان تصوّرلنا الأساليب التى سلكتها المرأة لإغراء يوسف عليه السلام ودعوته إلى مقارفة الفاحشة معها، فالقراءة الأولى دلّتْ على أن المرأةَ دعته إلى نفسها بالقول، بينما أفادت القراءة الأخرى أنها أيضاً دعته إلى ذلك بالفعل حيث تهيّأت وتجمّلت وعرضت مفاتنها وهيّأت المكان، وغلّقت الأبواب، فسلكت كل سبيل لإغوائه، ولكنه امتنع مِنْ ذلك أشدّ الامتناع واستعصم بالله واستعاذ به من شرها وكيدها وقبيح ما دعته إليه فـ {قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ} [يوسف: 23].

([1]) الحديث رواه البخاري(1 / 22) في العلم باب من رفع صوته بالعلم، وفي الوضوء(1/ 44)، باب غسل الرجلين، وَلاَ يَمْسَحُ عَلَى القَدَمَيْنِ ، ومسلم رقم (241) في الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما

([2]) انظر تفسير ابن كثير(616/2)، وتحبير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري، ص(413).

4- **قوله تعالى** ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ * سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ * وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ [محمد: 4- 6] فقَد قَرَأَ أَبُو عَمْرو وَيَعْقُوب وَحَفْصٌ : {**قُتِلُوا**} بِضَمِّ الْقَافِ وَكَسْرِ التَّاءِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ بَيْنَهُمَا، على أَن هَذِه الْآيَة مَخْصُوص بهَا الشُّهَدَاء المقتولون فِي سَبِيل الله الَّذين قَالَ الله جلّ وَعز فِيهِ م ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ [آل عمران: 169] وَقَوله {سيهديهم} أي إِلَى طَرِيق الْجنَّة وَيصْلح شَأْنهمْ فِي الْآخِرَة ويدخلهم الْجنَّة، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: {**قَاتَلُوا**} بِفَتْحِ الْقَافِ وَالتَّاءِ وَأَلِفٍ بَيْنَهُمَا، وهذه أضافت معنى جديداً وهو أن هذا الأجر المذكور في الآيات سيناله كلُّ من شارك في القتال سواء قتُل أو لم يُقتل[1].

وهكذا نرى وجوهاً من البيان في اختلاف القراءات من إيجاز في اللّفظ، واتفاق في المقاصد وتنوّع في المعاني فقد تأتي قراءة مؤكدة لقراءة أخرى أو مفسرة لها أو مضيفة معنى جديداً مع عدم التّناقض والتّضاد بل يُكّمل بعضها بعضاًويُجمّل بعضها بعضاً، وتَجعل قارئها يتذوّق حلاوةَ التّلاوة وعُمقَ المعاني؛ لِمَ لا وقد خرجت كلّها من مِشكاةٍ واحدة!، كما قال تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ * عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ [الشعراء: 192- 195].

([1]) انظر حجة القراءات، لأبي زرعة، ص(666- 667)، وانظر القراءات في النشر في القراءات العشر، لابن الجزري(2/ 374).

الخاتمة

وتضمنت أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج في ختام هذا البحث يمكن استخلاص عدد من النتائج منها:

1 -أنّ القرآنهو كلام الله المعجز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

2 -أنّ من مظاهر إعجاز القرآن نزوله على سبعة أحرف وقراءته بهذه القراءات المتواترة

3 -أنّ من مظاهر إعجاز القراءات القرآنية حفظ الله لها من الاندثار أو التحريف، وأن حفظها من حفظ القرآن.

4 -أنّ من مظاهر إعجاز القراءات القرآنيةعدم تناقضها، مع اختلافها وتعددها.

5 -أنّ العلماء دوَّنوا هذه القراءات المتواترة وحفظوا أسانيدها بحيث لا يمكن زيادة شيء على المتواتر أو النقص منه

6 -أنّ قبول القراءات والتصديق بها واجب وإن خفي على المرء معناها .

7 -أنّ من مظاهر إعجاز القراءات الإيجاز والاختصار؛ إذ لو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لأدى ذلك إلى التطويل.

8 -أنّ من مظاهر إعجاز القراءات ما اشتملت عليه من وجوه المعاني البيان.

ثانيا: التوصيات:

1 -العناية بعلم القراءات وإبراز مميزاته وفوائدته.

2 -العناية بتوجيه القراءات القرآنية وإبراز دلالاتها ومعانيها.

3 -الاهتمام بأثر القراءات القرآنية على معاني القرآن وأحكامه وتدبره .

و الحمد لله قي البدء والختام ، ونسأله سبحانه أن يختم لنا بالحسنى وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .